المورد

مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
الجمهورية العراقية
المجلد الخامس عشر - العدد الثالث ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
٣

WWW.ATTAWEEL.COM

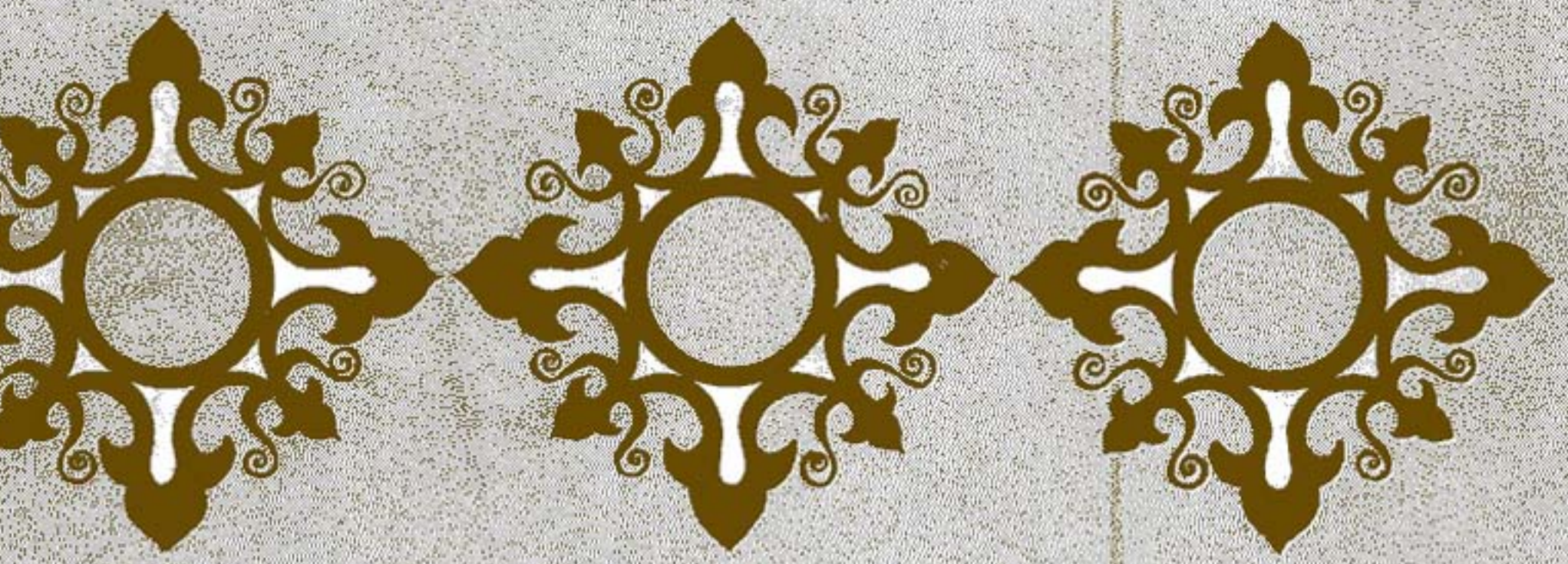

أسد الدين محمد

نقود مملكة ميسان العربية ودورها التاريخي والحضاري والاعلامي

الدكتور
محمد باقر الحسيني

مدير عام آثار ومتاحف
المنطقة الغربية

ميسان دولة عربية الاصل ، وتعرف قديما كما ذكرها بعض المؤرخين بـ (خاراكس) وقد بناها الاسكندر المقدوني عام ٣٢٤ قبل الميلاد بعد عودته من الهند لادراكه اهمية دور الخليج العربي التجاري والملاحي ؛ ويبدو من عمل الاسكندر لبنائها ان تكون الميناء التجاري الرئيسي والمخزن المهم لتجارة الشرق لاسيما انه لمس عظم التجارة التي كانت تمر عبر الخليج العربي بين الشرق والغرب ورابطة بين الهند وعاصمته المقبلة بابل التي اراد ان يحميها عسكريا بهذه المدينة ؛ وعن طريق هذا الميناء كان الاسكندر الكبير يتعامل مع اغنى تجار العالم الذين كانوا يتجارون مع الهند وشبه الجزيرة العربية .

لم يعرف بالتحديد ، جغرافيا ، مملكة ميسان لاختلاف المراجع ولكن في الاونة الاخيرة اطلق على جنوب العراق ميسان من باب التغليب ، الا ان (بليني) الذي عاش مابين ٢٣ و٧٩م ذكر انها تقع على مرتفع اصطناعي من الارض الكائنة بين حدها الشرقي نهر كارون والشمالي عند افتراق دجلة ونهر سيلاس عند (افامية) وان مساحتها ثلاثة اميال ، وقد وصف احد الصينيين ويدعى (كايفنك) عندما زارها في نهاية القرن الاول للميلاد وبالتحديد عام ٩٦م بانها كانت محاطة بالماء من كل مكان وتتصل بالنهر في الزاوية الشمالية الغربية ومحيطها ١٢ ميلا وهي حارة تكثر فيها الاسود والجمال والنعام ، وتبعد ميسان كما ذكرها الملك الموريتاني جوبا الثاني (وهو مؤرخ ايضا) في بداية القرن الاول للميلاد خمسين ميلا عن البحر ، الا ان المؤرخ الكلاسيكي ديوكاسيوسي اشار الى ان مملكة ميسان تشمل الجزيرة التي يؤلفها دجلة والفرات والخليج العربي ، والدراسات الحديثة اشارت الى ان ميسان تقع في الصقع الكائن في دلتا دجلة والفرات، كما ان مجلة لغة العرب في جزئها العاشر اشارت الى هناك شبه اجماع على ان مدينة ميسان او (خاراكس) القديمة هي مدينة المحمرة الحالية .

WWW.ATTAWEEL.COM

وميسان (بفتح الميم) في السريانية و(بكسرها) في العبرانية وميسن (بكسر الميم) في الارمنية وجاء ذكرها في التلموذ البابلي باسم (ميشا) وغالبا ماتذكر باسم (ميشان) وقد اشير اليها بالنقوش التدمرية (خاراك اساسينا) وهذه هي الصيغة الارامية لاسم المدينة وفي بعض الاحيان كانت تسمى (خارا كادى ميسان) أ قلعة ميسان ، ومعنى (كارخ) بالارامية المدينة المسورة وقد ذكرها البكري في كتابه معجم ما استعجم لم تكن مملكة ميسان حتى بداية القرن التاسع خاصة وجمهرة العراقيين عامة ، وكل ما كان يعرف عنها انها دويلة نشأت في جنوب أرض بابل تحت حماية السلوقيين وعندما ضعف شأنهم واندحر ملكهم السلوقي انطيوخس الثالث ٢٢٣ ـ ١٨٧ قبل الميلاد على ايدى الرومان استقلت ميسان ثم تدرجت في معارج القوة حتى اصبحت في عهد الاحتلال الفرثي ١٣٩ قبل الميلاد ـ ٢٢٦ ميلادية من الدول التابعة لها .

الا ان الدراسات الحديثة التي بدأت على ايدي المستشرقين في أوائل القرن التاسععشر وبالتحديد في عامي ١٨١١ و ١٨١٨م اعطت مؤشرا واضحا لدولة ميسان المندثرة في العصور القديمة ومخططا واسعا لتاريخها ودورها الرئيسي الذي لعبته في منطقة الخليج العربي خاصة وان ظروفها الجغرافية والاقتصادية والسياسية قد صيرتها مركزا تجاريا رئيسا ووسطا بينعالم البحرالمتوسط وال ق ،اقصى واصبحت من الدول التي خلفت دولة السلوقيين اثر انحلالها وحكمها تسععشرة حاكما (او ٢٣ حاكما) مايقارب ثلاثة قرون ونصف وبالتحديد مابين ١٢٩ قبل الميلاد و٢٢٥ ميلادية فدورها بأي وجه من الوجوه يفوق من حيث الاهمية مالرقعتها الاقليمية في بلاد ما بين النهرين .

واذا كان الفضل يعود الى هذه الدراسات في كشف القناع عن هذه الدولة المجهولة فان الفضل الاكبر لهذه النتائج يعود الى النقود المتداولة التي ضربها حكام هذه المملكة اضافة الى النقوش الميسانية التي دونتها القوافل في تدمر وغيرها من المناطق ، وقد اشار احد المؤرخين الى هذه الاهمية تعقيبا على دراسة النقود بقوله (ومن ابرز مميزاتها انها حصيلة جمع نقود هذه الدولة ابتداء ثم بروزها وتصنيفها ومقارنتها باشباهها واغيارها وترتيبها على وفق تسلسل الملوك الذين حكموها .. وهذا يحملنا على ان نرجو الاثاريين عامة وكل عراقي وعربي ذي شعور قومي واحساس انساني ونظر علمي خاصة ان يعرف للنقود الاثارية قيمتها التاريخية ، لامافيها من معدن نفيس (وكم خبر اغلى من تبر على ما قيل) فبادر بتقديم ما يعثر عليه منها الى السلطة القانونية المختصة وان يصونها الى حين تقديمها من كل ما يشوه معالمها فتذهب بقيمتها وقد ينطمس بذلك جزء مهم من تأريخنا القديم ! . كما اكد احد المستشرقين ان اي تقدم ملحوظ لمعرفة تاريخ دولة ميسان ماهو الا ينبوع يسير عن طريق المصادر النقدية .

لقد امدتنا هذه المملكة باسماء حكامها وتاريخ حكمهم والقابهم واستقلالهم السياسي وعلاقاتهم مع الدول المجاورة والمعاصرة لها كالفرثيين والرومان والتدمريين والانباط وغيرهم اضافة الى ان هذه النقود اوضحت لنا النواحي الثقافية والدينية والفنية والاقتصادية والاجتماعية وليس هذا بالامر الغريب والمبالغ فيه عن دور النقود فهي بطبيعتها اكاديمية علمية تضم بين جوانحها مختلف علوم المعرفة لذا عدت من اهم مصادر التاريخ بل من اجلها ولايمكن الطعن بها بسهولة اذا صحت اثريتها ، كما لايمكن الاستغناء عنها في اعادة كتابة التاريخ بامانة كونها تصدر من جهة رسمية فلاتقبل الخطأ لانه ينقلب على صاحبه ويسقطه بالتالي عن حكمه ، كما ان النقود لاتتحمل النصوص الثانوية .

واهمية النقود تبرز كونها احدى اركان الدولة وشارةمن شاراتها وعنوان مجدهاتتصلباقتصادياتها وبسياستها وسائر اوضاعها فهي تميط اللثام عن خفايا كثيرة وتعد صفحة كاشفة عن حكومات الدولة المتعاقبة لايستغنى عنها في تاريخ حياة الدولة وفي تعيين ميزانيتها ولو على وجه التقريب فهي وسيلة لمعرفة ذلك . ان الميزانيات غير مدونة في الغالب والاحصاءات لاتفي بالغرض ؛ فالنقود تقوم بقسط كبير من المهمة التاريخية في كشف هذه الخفايا بل تعد من اجل المصادر .

والنقود لم يقتصر دورها ـ كما يعتقد بعض الدارسين او الباحثين ـ على التعامل والتبادل التجاري فحسب بل تجاوز ذلك الضرب الى الدور الاعلامي ـ وهو مانلاحظه في نقود مملكة ميسان خاصة زمن هسبا وسبنس وابوداكس ـ حيث كان هذا النوع من النقود يلعب اعلاميا في ذلك الوقت نفس الدور وربما يزيد تاثيرا في نفوس الناس عما تلعبه الصحافة والاذاعة والتلفزيون والمؤتمرات وغيرها في الوقت الحاضر ، والجدير بالذكر ان النقود الاعلامية لا يمنع ان تكون نقود تعامل وتبادل تجاري ايضا بيد ان هذا الغرض ياتي بالدرجة الثانية .

والنقود اضافة الى كونها اعلامية تعد مدرسة لدراسة التصوير في مراحلها المختلفة ومدرسة للخط ومدرسة للعناصر الزخرفية والهندسية والفلكية والنباتية والحيوانية والادمية ، ولاتنسى ماتضم دراسة النقود من كنى والقاب ومدن ضرب وغيرها تستوعب كل دراسة منها معجما خاصا بها ويمكن القول باختصار ان النقود عبارة عن اكاديمية علمية تضم بين جوانحها مختلف علوم المعرفة لا يستغنى عنها قط في ابراز الحضارة الانسانية وكتابة تاريخها بصدق وامانة اضافة الى كونها تمثل جانبا وثائقيا مهما . ومن هنا جاءت نقود ميسان منبعا رئيسا ومصدرا مهما لكتابة تاريخ هذه الدولة المجهولة ولكننا لا نزال نطمع بالمزيد في دراسة هذه النقود اذ عشرات الالاف منها محفوظة في علبها وخزاناتها في المتاحف والمعاهد العلمية والمتحف العراقي يضم مجموعة كبيرة من نقود المملكة تجاوزت المئات وهي من الفضة والنحاس والرصاص نقشت عليها اسماء اصحابها وعلى راسهم مؤسس مملكتهم هسبا وسبنس ١٢٩ ـ ١٠٩ ق . م الذي ظهرت له اول نقود باسمه عام ١٢٤ ـ ١٢٣ق.م وهي من الفضة ذات وزن اربعة اضماف (تتراخما) نقش على الوجه صورة الملك وهو حليق اللحية وعلى راسه شعر قصير ، وعلى الظهر نقشت صورة هراقليوس جالسا على كرسي ، كما ظهرت لهذا الملك نقود اخرى من السنوات التالية ١٢٢ ـ ١٢٠ ق.م

وتشير الدراسات الى ان هذه النقود تدل دلالة قاطعة على ثروة هسبا وسبنس وقوته وتؤيد تبوؤه الحكم المستقل السياسي النقدي .

كماوصلتنا نقود اعلامية للملك هسباوسبنس مخلدة عليها انتصاراته العسكرية واعماله الحربية التي حققها على العيلاميين زمن قائدهم بيتيت (Pettet) ، وانتصاراته على بابل وسلوقية ايضا ، كما وصلتنا من ابنه ابودكوس ١٠٩ـ١٠٤ق م نقود عليها صورته بوضع جانبي وعلى راسه التاج وهو حليق اللحية وعلى الوجه الاخر نقشت صورة هراقليوس جالسا على كرسي وبيده اليمنى عصا وحولها كتابة تقرا (الملك ايوداكس)، ولهذا الملك نقدا اعلاميا يبدو فيه بمقدمة السفينة الحربية ، التي تكون على هيئة راس كبش لاتلاف سفن العدو ـ تخليدا لاعماله العسكرية حيث كان مولعا بالشؤون الحربية اذ بنى والده اسطولا حربيا قويا استخدمه لحماية التجارة في الخليج العربي باعتبارها مصدرا رئيسا لواردات الدولة ومما لا شك فيه ان الغرض من بناء هذا الاسطول القوي هو حماية الطريق المؤدى الى الهند وجعله مفتوحا حرا للملاحة .

اما نقود الملك تيرابوس الاول ٩٠/٨٩ق .م فقد امتازت عن اسلافه اذ اضيف اللقب بوربجبنس (ويعني صاحب الخدمات الجليلة للدولة) وسوتر (ويعنى المنقذ) ونقشت في الوجه الاخر صورة الالهة القديمة (ليجة) حارسة المدن وهي جالسة على العرش وبيدها اليسرى رمز الهة الخصب (كورتوكوبيا) يمثل قرنا مملوء بالفواكه وبيدها اليمنى رمز النصر يقدم تاجا .

ومنذ عهد الملك انامبيلوس الاول٤٤ـ٣٩ق.م اصبحت النقود الميسانية تحمل الكتابة الارامية بعد ان كانت لاتينية واصبح طابعها شرقي الطراز خاليا من اية تاثيرات اجنبية ، واصبحت صورة الملك على راسه التاج ولحيته طويلة او قصيرة او مزالة وشعر الراس قصير ومجعد وملفوف بطوق ، ويبدو من صورة النقد ان ملوك ميسان كانوا غليظو الاجسام ووجوههم رجولية وانوفهم

كبيرة وعيونهم واسعة ،وهذه الحالة تجرنا الى طرح راي او دعوة للمتخصصين بعلم الاجناس من ان هناك رابطا اوتشابها الى حد بين شعب ميسان وبين الصابئة الذين يعيشون في جنوب العراق حاليا لقرب الصفات بين الطرفين ولعل هذا الراي او الدعوة يجر ذوى الاختصاص الى الدراسة للوصول الى ما نصبو اليه .

كما ان سلسلة نقود قد ظهرت للملك انامبيلوس الثالث ٥٥/٥٤ ـ ٧٤/٨٣م وهي بحالة جيدة في التصوير ونقاء الخط تعتبر سجلا تاريخيا رائعا لحياة هذا الملك من يوم توليه الحكم وهو فتى الى ان اكتملت رجولته .

لقد اشارت المصادر ان سكان ميسان الاصليين عرب منذ ايام الامبراطورية الاشورية وهم من الآراميين نزحوا اصلا من الجزيرة العربية الى بلاد الشام واستوطن قسم منهم ضفاف الخابور والفرات بين دير الزور وطرابلس وغيرها ، وقسم اخر استقر في شمالي سوريا واسسوا دويلات في حماه ودمشق وحوران وحلب ، كما توغل قسم منهم الى بلاد سومر واكد جنوب العراق وزادوا من العنصر السامي في هذه البلاد واستطاعوا ان يكونوا دولة مستقلة في فترة الاحتلال الاخميني المعاصر تحكم نفسها بنفسها وهذا يدل ان حكم الفرس الاخمينيين كان اسميا ومن هنا نرى ان الاسكندر الكبير عندما وصل الى هذه المنطقة في حدود ٣٢٤ق . م وجدها تابعة الى حكم امير عربي مستقل وقد اكد ذلك (انيسوورت)احد اعضاء الحملة مع الاسكندر في كتاب مستقل يصف فيه ماراه وماشاهده اثناء التطواف من (ان كورة ميسان كانت تعود لامير عربي زمن الاسكندر المقدوني في القرن الرابع ق.م) اضافة الى ذلك ان هناك اشارات قديمة تذكر ان قبائل عربية استقرت في هذه المنطقة وما جاورها في المناطق الاخرى في الفترة التي سبقت الاسلام ومن هذه القبائل بكر بن وائل التي استقرت في منطقة كرمان وحنظلة التي استقرت في الرميلة في منطقة الاحواز ، كما اشار احد المؤرخين الذي عاش في العشرات الاولى من القرن الثالث الميلادي الى ان العرب كانوا في هذه الفترة من منطقة كرمان وفارس ، والظاهر ان العرب قد توغلوا شرقا الى عيلام اي الاحواز ثم الاقسام الجنوبية من فارس عن طريق مملكة ميسان خصوصا اذا ماتذكرنا بان مؤسس دولة ميسان هسباوسبنس قد احتل عيلام ودحر ملكها في ١٢٩ ق.م وهو مايؤيده الطبري عندما ذكر استقرار بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل في كرمان وتوج والاحواز .

لقد ذهب بعض المستشرقين الى ان هسباوسبنس(استنادا الى اسمه)غير عربي فمنهم من اعتقد انه من بكتريا(افغانستان الحالية) ومنهم من ذكر انه ايراني غير ان احدهم اشار الى انه ارامي في الوقت الذي اكده اخرون انه عربي وذكر احدهم (انه من غير الممكن ان ننسب هذا الحاكم الى اصل ايراني وانما هو عربي ولا يمكن ان يكون غير ذلك)

واستطاع هذا الملك الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة ميسان ـ ان يوسع دولته فضم اليه مدينة بابل ١٢٧ ـ ١٢٦ ق.م ولعله ضم مدينة سلوقية ؛ وبذلك استطاع تكوين دولة عربية موحدة في بلاد مابين النهرين وكان لا بد لهذا الملك ان يدافع عن حدود مملكته الجديدة وان يدخل في القتال ضد الدولة الفرثية ومنعها من تجاوز هذه الحدود ، والمراجع لاتستطيع ان تؤكد الى اي حد قام الفرثيين غير ان الشيء الواضح ان هسباوسبنس حارب العيلاميين في الاحواز واستطاع ان يكتسحهم ويخرب مدينة عيلام نفسها وربما كان ذلك بعد ١٢٩ق . م

كما توسعت مملكة ميسان في عهد الملك انامبيلوس الثالث ٥٤/٥٣ ـ ٧٢/٧١م واصبحت حدود مملكته حتى بلغت افاميه شمالا اي عند افتراق دجلة ونهر سيلاس ؛ كما شيد سدودا للنهر عند افاميه وذلك كي يغمر الاراضي بمائها عند هجمة فرثية ؛ وارتفع شأن ميسان في عهده من اقليم لاتتجاوز مساحته مدينة ميسان من الاراضي الى دولة ذات مساحة كبيرة .

كان الصراع التجاري حادا في منطقة الخليج العربي كونها منطلقا بين الشرق والغرب ؛ فترى

التنافس قويا بين دولة ميسان من جهة وبين دولة تدمر والانباط من جهة اخرى حيث اتخذت كل من الدولتين الاخيرتين مواقع تجارية لها في الخليج العربي لنقل البضائع ؛ فكانت (فورات) على دجلة السفلى وعلى بعد اثنى عشر ميلا الى الجنوب من (كارخ) مركزا تجاريا رئيسا للانباط ، وكانت قوافلها تتخذ السبيل المباشر عبر الصحراء الى (البتراء) واصبحت دولة الانباط مسيطرة ومجهزة بشكل رئيسي طيلة قرن ونصف للبضائع العربية والهندية للعالم العربي ، اما التدمريون ووسطائهم من تجار الخليج العربي فكانوا يتخذون لقوافلهم سبيلا اقصر عبر الصحراء ؛ اضف الى ذلك كان لتدمر احواضا لبناء السفن على سواحل مملكة ميسان وكان للمكانة المميزة في التجارة لدولة ميسان قد سمحت بتداول نقود البلدان المجاورة وبصورة حرة لتلائم مركزها التجاري ، ولعل ماتم اكتشافه من النقود الكوشانية في هذه الدولة وبالذات في مدينة (خاراكس سباسينو) اي ميسان خير دليل على هذه الصلات التجارية القوية مع هذه الدولة الكوشانية التي ظهرت مابين عامي ١٢٠ و ١٥٣م .

كانت السياسة العامة لدولة ميسان هي الموازنة بين الدول وهو مايعرف اليوم بسياسة الحياد الايجابي ، لذا فقد اوجدت صلات دبلوماسية متكافئة معها وهذا نابع من المكانة السياسية والاقتصادية التي كانت تتمتع بها هذه الدولة العربية ، كما كانت لهذه الدولة صلات تجارية متطورة مع الدول العربية آنذاك ويبدو ان اول اتصال مباشر واقامة صلات دبلوماسية بين دولة ميسان والامبراطورية الرومانية قد تم زمن المفوض الروماني في الشرق (جيرمانيكوس) وقد تطورت هذه العلاقات بعد ذلك زمن الملك الميساني (اتمبيلوس الخامس) مع الامبراطور تراجان مابين عامي ٩٨ و١١٧م وكانت هناك هدايا متبادلة بين الاثنين خلافا لمايراه بعض المستشرقين من ان الملك الميساني كان يدفع الاتاوة لتراجا ، وهذه العلاقة توضح العلاقة الطيبة والمكانة المهمة التي كانت تتمتع بها هذه الدولة بين دول العالم القديم كما تحسنت علاقة ميسان بالدولة الفرثية بعد ان عجزت الاخيرة السيطرة عليها وخصوصا في عهد ملكها المسمى (مانشو) اذ نجده في عام ١٠١م يستورد البضائع عن طريق ميسان

كذلك كانت لهذه الدولة علاقات جيدة مع الصين ، فكثيرا ماكانت ميسان تستضيف الوفود من الصين ، ففي عام ٩٧ قبل الميلاد ارسل الامبراطور (هو) الجنرال (بان جو) الى ميسان للتعرف على اهمية هذه المدينة كمركز تجاري مهم في منطقة الخليج العربي .

لقد اكدت النقوش الميسانية والكتابات التي دونتها القوافل في تدمر وغيرها من ان مجتمع ميسان مكون من شرائح مختلفة طابعة العام زراعي تجاري ، كما ذكرت هذه النقوش انواع الضرائب المعمول بها وطبيعة الحياة الاجتماعية فيها والتي تدل دلالة قاطعة على تطور تنظيم هذه الدولة بالرغم من ان اقتصادها كان يعتمد بصورة اساسية على استمرار السيطرة على التجارة .

المصادر

١ ـ نورمان (شيلدن ادئر) ميسان / دراسة تاريخية اولية القسم الاول ـ ترجمة فؤاد جميل مجلة الاستاذ / المجلد الثاني عشر ١٩٦٢/١٩٦٤ . هامش ص١٣٢/٤٢٣ .

٢ ـ القزاز (وداد) : نقود تكشف دولة مجهولة في تاريخ العراق القديم ـ المسكوكات العدد ٨ـ٩ و ١٩٧٧/١٩٧٨ ص ٦٢ .

٤ ـ عبدالرزاق الحسان :ـ الامارة العربية في ميسان ـ الاحواز قبل الاسلام ـ ص٢٥ـ٢٦ .

٤ ـ عبدالرزاق الحسان : ـ الامارة العربية في ميسان ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ المجلد الثالث ١٩٥٤ ص٢٠١ ـ ٢٠٢ .

٥ ـ الطبري ـتاريخ الرسل والملوك : حـ٢ ص٦١ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (دار المعارف ط . الثالثة سنة ١٩٦٨م) .

* * *

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة :

- علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالاندلس وبالدول الاسلامية ..
  د. خليل ابراهيم السامرائي
- تاريخ الري في سهول الرافدين من عصر صدر الاسلام حتى نهاية العهد العباسي ..
  د. عواد مجيد الاعظمي
- قراءة وتاملات في المسرح الاغريقي ..
  د. جميل نصيف التكريتي

WWW.ATTAWEEL.COM